في النحو :

لا غـــير

أبو العلاء المعري

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

يقول الشيخ أبو العلاء المعري في كتابه (عبث الوليد) في هذا البيت لأبي عبادة البحتري :

« أناب به بسطامه ومحمد قام علا يعيي الملوك حلولها[1]

كان في النسخة : (أناب به) وهي كلمة نافرة في هذا الموضع ولو أنها (أناب) لكانت أشبه . وفي النسخة (القام) مرفوعة وإنما يجوز ذلك إذا جعلت بدلا من (بسطام ومحمد) والمعنى يصح على ذلك إلا أنه بعيد . والأحسن أن يكون (أنّ) في موضع (أناب) أي أقام ولزم . (قام علا) ينصب بوقوع الابنان عليها وقد أساء في قوله : (قام) لأن المعروف قم إلا أن زيادة الألف هاهنا جائزة تشبه بقلال وقباب . وفي بعض النسخ (أناف) وهو أشبه بمذهبه ، وينصب حينئذ قام لا غير »

فيكتب الأستاذ الأديب محمد عبد الله الدنى المعلق على الكتاب هذه التعليقة على (لاغير) في قول الشيخ (ص ١٩٠) :

« غير اسم ملازم للاضافة في المعنى ويجوز أن يقطع عنها لفظا إن فهم المعنى وتقدمت عليها كلمة ليس وقولهم لا غير لحن : المغني لابن هشام . اهـ » .

وهذا قول الإمام جمال الدين بن هشام في (غير) أرويه بتمامه — وإن طال — إذ قد يميل قارىء إلى الوقوف عليه :

« غير : اسم ملازم للاضافة في المعنى ، ويجوز أن يقطع عنها لفظا إن فهم المعنى وتقدمت عليها كلمة ليس ، وقولهم : (لاغير) لحن . ويقال : قبضت عشرة ليس غيرها برفع غير على حذف الخبر أي مقبوضا ، وبنصبها على إضمار الاسم أي ليس المقبوض غيرها .

وليس غير ، بالفتح من غير تنوين على إضمار الاسم أيضا ، وحذف المضاف إليه لفظا ، ونية ثبوته كقراءة بعضهم : (لله الأمر من قبل ومن بعد) بالكسر من غير تنوين أي من قبل الغلب ومن بعده .

وليس غير ، بالضم من غير تنوين ، فقال المبرد والمتأخرون إنها ضمة بناء لا إعراب وإن غير شبهت بالغايات كقبل وبعد ، فعلى هذا يحتمل أن يكون اسما وأن يكون خبرا . وقال الأخفش ضمة إعراب لا بناء لأنه ليس باسم زمان كقبل وبعد ولا مكان كفوق وتحت ، وإنما هو بمنزلة كل وبعض ، وعلى هذا فهو الاسم ، وحذف الخبر ، وقال ابن خروف : يحتمل الوجهين .

وليس غيرا بالفتح والتنوين ، وليس غير بالضم والتنوين ، وعليهما فالحركة إعرابية لأن التنوين إما للتمكين فلا يلحق إلا المعربات وإما للتعويض فكأن المضاف إليه مذكور ، ولا تتعرف غير بالإضافة لشدة إبهامها » .

فعند الأستاذ الدنى — وتلكم تعليقته — أن الشيخ قد لحن ، وسنده هو ابن هشام . وقد فتشت طويلا عن اللحن في عبارة المعري فلم أجده ، ولن أجده أبدا . وإن خيل أنه قد جاء من إعمال (لا) عمل (ليس) فاللحن نفسه يسطر في (المغني) هذه الأسطر :

« الثاني — من أوجه لا — أن تكون عاملة عمل ليس كقوله :

من صد عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براح[1]

وإنما لم يقدروها مهملة والرفع بالابتداء لأنها حينئذ واجبة التكرار ، وفيه نظر لجواز تركه في الشعر ، و (لا) هذه تخالف ليس من ثلاث جهات (إحداها) أن عملها قليل حتى ادعى أنه ليس بموجود . (الثانية) أن ذكر خبرها قليل حتى إن الزجاج لم يظفر به ، فادعى أنها تعمل في الاسم خاصة وأن خبرها مرفوع ، ويرده قوله :

تعز فلا شيء على الأرض باقيا ولا وزر مما قضى الله واقيا

وأما قوله :

نصرتك إذ لا صاحب غير خاذل فبوئت حصنا بالكماة حصينا[2]

(١) قلت : البيت من قصيدة ، صدر مطلعها : (هواها على أن الصدود سبيلها) ولم ترد هذه القصيدة في الديوان المطبوع .

(١) قلت : البيت للحماسي سعد بن مالك ، وهو من أبيات الكتاب والمفصل ، قال الشنتمري : استشهد به على إجراء لا مجرى ليس في بعض اللغات كما أجريت ما مجراها في لغة أهل الحجاز فتقديره لا براح لي على معنى ليس لي براح .

(٢) قلت : البيت من شواهد ابن عقيل في إعمال لا عمل ليس .

فلا دليل فيه كما توهم بعضهم لاحتمال أن يكون الخبر محذوفا وغير استثناء . الثالثة أنها لا تعمل إلا فى النكرات خلافا لابن جنى وابن الشجرى ، وعلى ظاهر قولهما جاء قول النابغة :

وحلت سواد القلب لا أنا باغيا سواها ولا عن حبها متراخيا

وعليه بنى المتنبى قوله :

إذا الجود لم يرزق خلاصا من الأذى فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا[1] »

فهذه (لا) تعمل — إذن — عمل (ليس) — ودع قولهم إن عملها قليل فالقلة لا تمنع العمل . وما عدها أحد خطأ أو لحنا — وقد زاد العرب الباء فى خبرها لتأكيد النفى — كما يقول ابن يعيش[2] — كما زادوها فى خبر أختها أو قريبتها فقال قائلهم :

فكن لى شفيعا يوم لاذو قرابة بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

و (لا وليس) تتناوبان ، قال اللسان :

« قد تجى ليس بمعنى لا ولا بمعنى ليس ، ومن ذلك قول لبيد : (إنما يجزى الفتى ليس الجمل[3]) أراد لا الجمل . وسئل سيدنا رسول الله عن العزل[4] عن النساء فقال : لا عليكم أن لا تفعلوا فإنما هو القدر[5] ، معناه ليس عليكم أن لا تفعلوا يعنى العزل كأنه أراد ليس عليكم الإمساك عنه من جهة التحريم وإنما هو القدر ، إن قدر الله أن يكون ولد كان » .

وهل (ليس) أصلها — كما قالوا — إلا (لا) ضمت إليها (أيس) ثم كان ما أراده الله تعالى وعمله الانتخاب الطبيعى La Sélection Naturelle فى اللغة عمله فى كل شىء ، وهل أنت — يا فتى — من قبل أنت ، هل دريت كيف كنت ؟ قال التاج :

« أصلها — يعنى ليس — (لا أيس) طرحت الهمزة

(١) قال العكبرى : شبه لابليس نصب الخبرين كتشبيه ابن قيس فى بيت الكتاب : من فر ... ولم يقل فى الاسمين المعرفتين شيئا .

(٢) شرح المفصل جـ ١ ص ١٠٩ .

(٣) قلت : ضبطت (يجزى) فى هذا الجزء من اللسان (جـ ٢٠ ص ٣٥٨ وفى جـ ٨ ص ٩٦) بالبناء لما لم يسم فاعله وهى بالبناء لما سمى فاعله ، وجاءت (يجزى والجمل) بالراء والحاء فى جـ ٨ ، والقول من أمثالهم قال الميدانى فى شرحه : يريد لا الجمل ، يضرب فى المكافأة أى إنما يجزيك من فيه إنسانيه لا من فيه بهيمية .

(٤) عزل الماء عن النساء حذر الحمل .

(٥) فى رواية : لا عليكم أن لا تفعلوا ذلك . فانها ما من نسمة كتب الله أن تخرج إلا وهى خارجة .

وألزقت اللام بالياء ، وهو قول الخليل والفراء ، قال الأخير : والدليل على ذلك قولهم أى العرب : ائتنى به من حيث أيس وليس ، أى من حيث هو ولا هو ، وكذلك قولهم جىء به من أيس وليس أو معناه من حيث لا وجد ، أو أيس أى موجود ولا أيس أى لا موجود فخففوا ... »

وقد استعمل للشيخ (لاغير) فى كتابه العجيب المبقرى (الفصول والغايات) وفى كتابه الدهش (رسالة اللائكة) كما استعملها فى (العبث) فقال فى شرح جملة فى الأول ص ٣٣٩ :

« والعرف الرائحة الطيبة وغيرها ، والريا الرائحة الطيبة لا غير » .

وقال فى الثانى ص ٧٠ :

« ... ومعيشة عند (سعيد بن مسعدة) مفعُلة لا غير ، وهى عند الخليل وسيبويه مفعِلة ولا يمتنع أن تكون مفعلة[1] » .

واستعمل (لا غير) أئمة قبل المعرى وبعده . وهذه جريدة قصيرة فى استعمالهم إياها :

الكتاب لسيبويه (ج ٢ ص ٣١٧) :

« ويكون الاسم على إنفعل فى الوصف لا غير » .

تهذيب إصلاح المنطق (ج ١ ص ١٨١) ، والتهذيب لابن السكيت والإصلاح للتبريزى :

« بقية الإثلب والأثلَب أى الحجارة والتراب ، قال أبو يوسف : أشك فى الإثلب والأثلب وأحسبه إفعل وأفعل . الحوفى : هى أفعل لا غير[2] ، لأن الهمزة إذا كانت أولا يقضى عليها بالزيادة إلا أن يقوم دليل بأنها من الأصل » .

الفصيح لأبى العباس ثعلب (ص ٣١) :

« جلا القوم عن منازلهم جلاء وأجلوا أيضا ، وأجلوا عن قتيل لا غير إجلاء[3] » .

وفيه فى (ص ٨١) :

(١) لم نجد الشيخ محمود حسن زناتى الذى ضبط كتاب (الفصول والغايات) وفسر غريبه ونشره ، والأستاذ محمد سليم الجندى الذى عنى بتحقيق (رسالة اللائكة) وشرحها وضبطها ومعارضتها قد نقدا أو علقا ومثلهما لم يغب عنهما ما يقول ابن هشام وغير ابن هشام .

(٢) فى النهاية : الولد للفراش وللعاهر الأثلب الاثلب : بكسر الهمزة واللام وفتحهما والفتح أكثر : الحجر ، وهمزته زائدة

(٣) إذا تفرقوا عنه بعد إحداقهم به (التلويح لمحمد الهروى) .

« ولد المولود لِتمام وتَمام ، وليل التمام مكسور لا غير[1] ».

الكامل للمبرد (ج ٦ ص ٥٤ رغبة الآمل من كتاب الكامل) :

« قال وجل لعمر بن عبد العزيز يرثيه :

قد غيب الدافنون اللحد إذ دفنوا ... بدير سمعان قسطاس الموازين

من لم يكن همه عينا يفجرها ... ولا النخيل ولا ركض البراذين

أقول لما أتاني ثم مهلكه ... لا يبعدنّ قوام الملك والدين

يقال هذا قوم الأمر وملاكه لا غير[2] ، وتقول فلان حسن القوام مفتوح تريد بذلك الشطاط ، لا يكون إلا ذاك » .

الفائق للزمخشري (ج ١ ص ١٢٦) :

« النبي صلى الله عليه وسلم قال حريث : رأيته دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء حرقانية قد أرخى طرفها على كتفيه هي التي على لون ما أحرقته النار كأنها منسوبة بزيادة الألف والنون إلى الحرق ، يقال : الحرَق بالنار والحرق معا والحرق[3] من الدق محرك لا غير » .

المخصص لابن سيده (ج ٣ ص ٥٠) :

« وقالوا : جزاك الله خيرا والرحم بالنصب والرفع ، وجزاه الله شرا والقطيعة بالنصب لا غير » .

شرح المفضليات لأبي محمد الانباري (ص ٥٦٥) :

« أنكرته حين توسمته ... والحرب غول ذات أوجاع

قال عامر : أنكرته شككت فيه ، يقال : أنكرت الرجل إذا كنت من معرفته في شك ونكرته إذا لم تعرفه ، قال الله عز وجل : نكرهم وأوجس منهم خيفة . قال أبو عبيدة يقال أنكرته ونكرته بمعنى واحد وكذلك استنكرته ، وأنشد بيت الأعشى :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت ... مني الحوادث إلا الشيب والصلعا

أي إنما أنكرت شيبي وصلعي لا غير ، فأما كرمي وطبيعتي فلم أتغير عنهما » .

لسان العرب لابن منظور (ج ٤ ص ٣٤٦) :

« قال الجوهري : وأما قولهم : قدك بمعنى حسبك فهو اسم تقول : قدى وقدني أيضا بالنون على غير قياس لأن هذه النون إنما تزاد في الأفعال وقاية لها مثل ضربني وشتمني . قال ابن بري : وهم الجوهري في قوله : إن النون في قدني زيدت على غير قياس وجعل نون الوقاية مخصوصة بالفعل لا غير . وليس كذلك ، وإنما تزاد وقاية لحركة أو سكون في فعل أو حرف كقولك في من وعن إذا أضفتهما إلى نفسك مني وعني فزدت نون الوقاية لتبقى نون من وعن على سكونها ، وكذلك في قد وقط تقول قدني وقطني فتزيد نون الوقاية لتبقى الدال والطاء على سكونهما . وكذلك زادوها في ليت فقالوا : ليتني لتبقى حركة التاء على حالها ، وكذلك قالوا في ضرب ضربني لتبقى حركة الباء على فتحها . وكذلك قالوا في اضرب اضربني أيضا أدخلوا نون الوقاية عليه لتبقى الباء على سكونها » .

وفيه في ج ٦ ص ٢٧٩ :

« العَمر والعُمْر والعُمُر : الحياة ، يقال : قد طال عمره وعمره ، لغتان فصيحتان ، فإذا أقسموا قالوا : لعمرك فتحوا لا غير ، والجمع أعمار ، وسمي الرجل عمرا تفاؤلا أن يبقى[1] » .

فهل يرى السيد محمد عبد الله المدني أن شيخنا أبا العلاء وهؤلاء الأئمة المتقدمين كلهم أجمعين كانوا من اللاحنين ؟ ...

محمد إسعاف النشاشيبي

---

(١) في اللسان : ليل التمام بالكسر لا غير أطول ما يكون من ليالي الشتاء . وفي التاج : تمام الشيء ماتم به بالفتح لا غير ، وليل التمام ككتاب وفي النهاية : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم ليلة التمام هي ليلة أربع عشرة من الشهر لأن القمر يتم فيها نوره ، تفتح تاؤه وتكسر ، وقيل : ليل التمام بالكسر أطول ليلة في السنة وفي الأساس : أحيا ليل التمام والتمام وهو أطول ليلة في السنة .

(٢) لصاحب رغبة الآمل سيد علي المرصفي (رحمه الله) تعليقات كثيرة على أقوال في الكلام ، ولم يقل هنا شيئا بل استعمل (لا غير) أيضا فقال في شرحه « يريد بالكسر فيهما لا غير ، وعن الزجاج قد يفتح قوام الأمر ، وعن أهل اللغة يقال ملاك الأمر بكسر الميم وفتحها وكلاهما نظام الأمر وما يعتمد عليه . الشطاط : حسن القوام وطوله أو اعتداله . وجاءت (لا غير) في الكامل في الرغبة ج ٥ ص ٩٨ .

(٣) اللسان : الحرق احتراق يصيب الثوب من دق القصار ، ابن الأعرابي : الثلب في الثوب من دق القصار جعله مثل الحرق الذي هو لهب النار .

(١) وردت (لا غير) في السفر الثاني (شروح سقط الزند) الذي حققته (لجنة إحياء آثار أبي العلاء المعري) والشارحون هم التبريزي والبطليوسي والخوارزمي ورجال اللجنة هم : مصطفى السقا ، عبدالرحيم محمود ، وعبد السلام هارون ، إبراهيم الأبياري ، حامد عبد المجيد . والتسمية كافية ، أسماؤهم فيها غنى عن وصفهم .